والتعريف باللام في (الغني) وفي (الفقراء) تعريف الجنس وهو فيهما مؤذن بكمال الجنس في المخبر عنه ولما وقعا خبرين وهما معرفتان أفادا الحصر أي قصر الصفة على الموصوف أي قصر جنس الغني على ا وقصر جنس الفقراء على المخاطبين ب (أنتم) وهو قصر ادعائي فيهما مرتب على دلالة " ال " على معنى كمال الجنس فإن كمال الغنى لا محالة لعمومه ودوامه وإن كان يثبت بعض جنس الغنى لغيره . وأما كمال الفقر للناس فبالنسبة إلى غنى ا تعالى وإن كانوا قد يغنون في بعض الأحوال لكن ذلك غنى قليل وغير دائم .

(وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم [38]) عطف على قوله (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) .

والتولي : الرجوع واستعير هنا لاستبدال الإيمان بالكفر ولذلك جعل جزاؤه استبدال قوم غيرهم كما استبدلوا دين ا بدين الشرك .

والاستبدال : التبديل فالسين والتاء للمبالغة ومفعوله (قوما) . والمستبدل به محذوف دل على تقديره قوله (غيركم) فعلم أن المستبدل به هو ما أضيف إليه (غير) لتعين انحصار الاستبدال في شيئين فإذا ذكر أحدهما علم الآخر .

والتقدير : يستبدل قوما بكم لأن المستعمل في فعل الاستبدال والتبديل أن يكون المفعول هو المعوض ومجرور الباء هو العوض كقوله (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) تقدم في سورة البقرة . وإن كان كلا المتعلقين هو في المعنى معوض وعوض باختلاف الاعتبار ولذلك عدل في هذه الآية عن ذكر المجرور بالباء مع المفعول للإيجاز .

والمعنى : يتخذ قوما غيركم للإيمان والتقوى وهذا لا يقتضي أن ا لا يوجد قوما آخرين إلا عند ارتداد المخاطبين بل المراد : أنكم إن ارتددتم عن الدين كان قوم من المؤمنين لا يرتدون وكان قوم يدخلون في الإيمان ولا يرتدون .

روى الترمذي عن أبي هريرة قال : تلا رسول ا هذه الآية (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) . قالوا : ومن يستبدل بنا ؟ قال : فضرب رسول ا صلى ا عليه وسلم على منكب سلمان " الفارسي " ثم قال : " هذا وقومه هذا وقومه " قال الترمذي حديث غريب . وفي إسناده مقال .

وروى الطبراني في الأوسط : هذا الحديث على شرط مسلم وزاد فيه " والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس " .

وأقول هو يدل على أن فارس إذا آمنوا لا يرتدون وهو من دلائل نبوة النبي صلى ا عليه

وسلم فإن العرب ارتد منهم بعض القبائل بعد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم وارتد البربر بعد فتح بلادهم وإيمانهم اثنتي عشرة مرة فيما حكاه الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد ولم يرتد أهل فارس بعد إيمانهم .

و (ثم) للترتيب الرتبي لإفادة الاهتمام بصفة الثبات على الإيمان وعلوها على مجرد الإيمان أي ولا يكونوا أمثالكم في التولي .

الشرط جواب حيز في فهي (غيركم قوما يستبدل) جملة على (ثم) ب معطوفة والجملة A E والمعطوف على جواب الشرط بحرف من حروف التشريك يجوز جزمه على العطف ويجوز رفعه على الاستئناف . وقد جاء في هذه الآية على الجزم وجاء في قوله تعالى (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) على الرفع . وأبدى الفخر وجها لإيثار الجزم هنا وإيثار الاستئناف هنالك فقال : وهو مع الجواز فيه تدقيق وهو أن هاهنا لا يكون متعلقا بالتولي لأنهم إن لم يتولوا يكونون ممن يأتي ا بهم على الطاعة وإن تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين وكون من يأتي ا بهم مطيعين وأما هنالك فسواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن للتعليق " أي بالشرط " هنالك وجه فرفع بالابتداء وهاهنا جزم للتعليق اه . وهو دقيق ويزاد أن الفعل المعطوف على الجزاء في آية آل عمران وقع في آخر الفاصلة التي جرت أخواتها على حرف الواو والنون فلو أوثر جزم الفعل لأزيلت النون فاختلت الفاصلة .

بسم ا الرحمن الرحيم .

سورة الفتح